ثم لقاءات المشير

وأخيرا.. يبدو أن المشير طنطاوى قرر أن يتدخل فى الأمر بنفسه. فجمع رؤساء الاحزاب ذات التمثيل فى البرلمان الذى كان ليناقش معهم كيفية تشكيل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور الجديد. لكن اسماء أخرى اضيفت بما يوحى أن ثمة مشاورات سبقت الاجتماع. مثلا مصطفى بكرى ومحمد عبد المنعم الصاوى ورئيس حزب العدل واحزاب أخرى صغيرة ليست لها تمثيل فى أى برلمان أو وجود فى أى مجال.

وكان ترتيب طاولة الاجتماعات متقنا ومنحازا فى نفس الوقت. فالطاولة مستطيلة فى ضلعها الأطول فى منتصفه بالضبط المشير وعلى الجانبين الحضور من لواءات المجلس العسكري. والضلع المقابل فى منتصفه أى أمام المشير اجلسنى رجل البروتوكول باعتبارى

رئيس أقدم الاحزاب الموجودة. وعلى يسارى (وهنا يتجلى الانحياز محمد مرسى وإخوانى اخر) ثم إلى يساره د. مخيون (حزب النور) وكان الانحياز واضحا ومسكوتا عنه فالإخوان وحدهم لهم ممثلان والباقون ممثل واحد، والإخوان وحدهم يتبادلون الحضور (كانوا اربعة يحضر منهم اثنان وفق الترتيبات الإخوانية الغير مرئية د. مرسي. د. عصام العريان- ابراهيم حسين- ورابع يتغير) وبالنسبة للجميع لا يجوز أن يحضر أى بديل لرئيس أى من الاحزاب، ولكن بالنسبة للإخوان كان ذلك مسموحا به.

وقبل أن نبدأ السباحة فيما تقاذفنا من امواج فى حوارات لا تنتهى (واحد أو اتنين وثلاثين اجتماعا كل منها يستمر ما يزيد على ثماني ساعات تتخلله وقفات قصيرة شاى وقهوة.. وموائد من بسكويت وكيك وما اشبه) وكان نفس الإخوان فيها طويلا ويمطون فى الجلسات قدر امكانهم ربما للاطمئنان على الانتهاء من ترتيبات تخصهم كان بالإمكان تخمينها دونما حاجة للافصاح عنها، تقفز حكايات قصيرة وملاحظات اقصر لتسابق احداث الاجتماعات.

فى اللحظات الأولى للاجتماع الأول وقبل أن يدخل المشير مال رجل البروتوكول على اذنى هامسا "إذا حضرتك مش عايز تقعد جنب د. مرسى ممكن نغير الاماكن" فقلت بصوت مسموع من مرسى ومن غيره خليه جنبى علشان لما يلخبط ازغده بكوعى واسكته" إتخض مرسى وصاح "اعوذ بالله".

كانت أحاديث الإخوان مجموعة من المماطلات التى تحمل قدرا عاليا من التعالي. لكن فى الطرف البعيد من الطاولة كان هناك من يصوغ طلبات، أو طموحات، أو مزاعم الإخوان بصورة اكثر اتقانا. ويقدم الأوهام الاخوانية بصورة شيك.. هو الاستاذ محمد عبد المنعم الصاوي. وذات إحدى الاستراحات همس فى أذنى لواء من الحضور مشيرا برأسه نحو الصاوى "هو اخوانى بس ذكي، ولهذا هو كائن نادر".

وذات يوم وفيما يجلس المشير.. وفى لحظة الجلوس صاح د. مخيون "يا سيادة المشير أنا عايز أتكلم". التفت اليه المشير دون أن يرد ثم بعد أن جلس واستراح وتأمل الحضور كعادته واطلق تحية صباحية كعادته ايضا، نظر إلى الوجه المحتقن للدكتور مخيون وقال بهدوء "اتفضل" وهنا انفجر د. مخيون وهو يشير نحوى "يا سيادة المشير د. رفعت فى حوار تليفزيونى على الهواء هاجم أمس حزب النور وكانت التهمة أننا ذوى مرجعية اسلامية بينما هو يرأس حزبا مرجعيته شيوعية فهل هذا لائق؟" وبابتسامة مستريحة على وجه هادئ قال المشير "اتفضل" وجلس مخيون وهو ينتفض وأشار المشير نحوى "اتفضل".

فقلت "أولا أنا عايز اصحح حاجات.. أنا رئيس حزب التجمع وحزب التجمع مش شيوعى ولا ماركسى لكن علشان أغيظ الدكتور مخيون أنا مرجعيتى ماركسية، وأنا مقلتش حزب النور مرجعيته اسلامية ولكن قلت حزب النور مرجعيته متأسلمة

والتأسلم فى نظرى هو فهم مشوه وغير صحيح للإسلام، وعلى أية حال إذا قلت أنا مرجعيتى ماركسية ممكن مخيون يقول ببساطة فى ستين داهية انت وماركس بتاعك، ولكن إذا قال هو "أنا مرجعيتى اسلامية" هل استطيع أن أرد عليه بأى هجوم أو انتقاد؟ هو يتمسح بالإسلام لتكتسب افكاره وطموحاته وممارساته سمة غير صحيحة؟

ارتاحت الابتسامة على وجه المشير وسأل مخيون عندك رد؟ ولم يرد مخيون على السؤال.

وفى كثير من الاحيان كان مرسى يتبدى مرتبكا ولا يجد اجابات عن اسباب مراوغاتهم، وسعيهم فى استطالة أن الجلسات وكان ضغط من المشير، فطلب مرسى من المشير مهلة يومين للتشاور مع الاخوة. وبعد المهلة بدأت الجلسة وقال المشير "تفضلوا" وهكذا كان يسأل عمن يريد أن يدلى برأيه فقلت "د. مرسى طلب مهلة وأخذها فليحدثنا عن رأى الاخوة". لكن مرسى لم يكن لديه شيئا يقوله فتحدث وتحدث وتحدث لخمس وأربعين دقيقة دون أن يقول شيئا. وبملل شديد التفت المشير وقال لى "اتفضل رد" فقلت "مجلة الايكونومست اخترعت تعبيرا وصفت به اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوربى الذين يتحدثون ويتجادلون عديدا من الساعات دون أن يقولوا جديدا، والتعبير هو " التريدميل السياسي" (وجهاز التريدميل هو السير الذى تمشى عليه دون أن تتحرك من مكانك) والدكتور مرسى فعلها فينا وتكلم ٤٥ دقيقة دون أن يقول شيئا.

وقال المشير مبتسما يعنى "خطوة تنظيم". زى ما بنقول فى العسكرية، وحاول مرسى أن يتظاهر بالغضب ووقف موحيا أنه سينسحب، وشخط المشير "اقعد" فقعد.

والحقيقة أن المشير كان لا يجد فى الجالسين كثيرا ولا قليلا من الراغبين أو القادرين أو المتحمسين للرد على الوفد الاخواني، كثيرون كانوا يستشعرون اتجاه الريح. وأن مركب الإخوان تمتلئ قلوعها بهواء القادم فتسرع نحوه. ويخشون فى نفس الوقت من احتمال غضب المشير ورجاله.. ويكون الدواء هو الصمت. وكان الحوار يدور فى اغلبه بين مطولات اخوانية وردود من جانبى واثنين أو ثلاثة آخرين يتحمسون فينطقون ثم يتعقلون فيصمتون. وكان الاكثر مناكفة فى احيان كثيرة هو المستشار الفضالي. لكن المشير كان يقصد اعطائى الكلمة دوما حتى دون أن اطلب للرد على الإخوان وكنت اعرف انه يتعمد ذلك واتقبله، وقبله كان يفعلها رئيسين عاصرتهما فى مجلس الشورى الدكتور مصطفى كمال حلمى وصفوت الشريف فما أن يفتح باب أو حتى نافذة للحديث عن التأسلم السياسى حتى تأتينى الكلمة دون أن اطلبها فكثيرون لا يريدون، أو يتعاطفون أو يحاذرون والاكثر لا يعرفون. وكنت اتقبل ذلك كفرصة للتعبير عن رأى كان الكثيرون يترددون فى التعبير عنه فقد كان التيار الاخوانى متسلطا على عقول كثيرة.

وكان الأمر كذلك مع المشير. ولاحظ أحد اعضاء المجلس العسكرى ذلك، وخلال أحد الاجتماعات كان الحوار محصورا بينى

وبين الثلاثى مرسى ومخيون والصاوي، مع تداخلات هامشية بعضها يعبر عن مجرد رغبة فى أن يتبدى مشاركا وتكون الكلمات محاذرة وبلا مذاق.. وفيما الملل يخيم حمل لى أحد ضباط البرتوكول الواقفين دوما فى القاعة ودقة من أحد اللواءات الحاضرين مكتوب فيها "لماذا يصمت هؤلاء الناس؟" واجبت على ذات الورقة ببيت شعر:

مت بداء الصمت خير من كلام / انما العاقل من ألجم فاه بلجام

ابتسم ورأيت الورقة وهى تمضى من يد لأخري.

والمثير للدهشة أن المشير نفسه استخدم الشعر يوما، ربما للتعبير عن الملل، أو للتخفيف من حدة الملل.. وفى بداية إحدى الجلسات الأخيرة بدأ الجلسة قائلا:

إلام الخلف بينكموا إلاما / وهذى الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكموا لبعض / وتبدون العداوة والخصاما

ثم التفت إلى (ويبدو أن الورقة الخاصة بالصمت خير من كلام قد وصلت إليه") فقال اكمل يا دكتور..

فأكملت القصيدة

فأين الفوز لا مصر استقرت علي / حال ولا السودان داما

وتأمل المشير الجالسين وعيناه مسلطتان على الإخوان وإلى جوارهم مخيون وأعاد.. فأين الفوز لا مصر استقرت / على حال ولا السودان داما.

ثم بدأ الجلسة.

وفى نهاية كل اجتماع كانت الدعوة على الغذاء فى الاغلب تأتى بالقرب من موعد العشاء ولاحظ رجال البروتوكول الشديدى اليقظة أننى اتجه فى كل مرة مسرعا إلى الاسانسير لأغادر بينما يتجه الجميع إلى صالة الطعام.. و"الغداء يا افندم" واجبت أكثر من مرة بلهجة تعمدت أن تأتى فكاهية "مش عايز آكل معاكم عيش وملح"، وكالعادة انتقلت العبارة إلى المشير وهو فى الأغلب لا يقبل الهزار فانتظرنى عقب أحد الاجتماعات وامسك بي. "ليه مش عايز تاكل معانا عيش وملح؟" وقلت له الحقيقة "ليلى زوجتى مريضة واتركها وحيدة ولا أريد أن اغيب عنها من أجل وجبة" سألنى فى ألم "تحب اى مساعدة؟" وشكرته بحزم، لكنه قال تعالى ولو خمس دقائق، لقد سمعت انك لا تأكل لحما ولا فراخ فقط سمك.. وأتينا لك بما تحب وقادنى إلى المادة الرئيسية ليجلس عليها هو والفريق ومرسى وأنا، والمشير للدهشة أن مرسى كان قد سبق الجميع وبدأ يأكل وحده غير منتظر لأحد. ولأول مرة أرى انسانا يفترض أنه متحضر (ومتخرج من أمريكا) يأكل بيديه الاثنتين ويلحس اصابعه بعد تقشير الجمبرى بيديه.. جلست لخمس دقائق.. واستأذنت فأذن المشير وهمس فى أذنى "إذا احتجت حاجة احنا تحت أمرك" فقلت "مستورة والحمد لله".

وكانت الحوارات حول كيفية تشكيل الجمعية التأسيسية ونسبة كل طرف فيها. والإخوان يريدون وبتشدد شديد الاستحواذ على اغلبتيها ليضعوا دستورا يعبر عنهم ويحكموننا به وفيما كانت

الحوارات تجرى بأمل أن يزيح أى طرف طرفا آخر لينال مقعدا أو أكثر. وحيث تجلى الحلف المتأسلم واضحا وجليا الاخوان- النور- السلفيون مع استعدادات واضحة من افراد أو قوى صغيرة يتمنون بها أن يرتدوا ثياب التأسلم لينالوا بها مساحة من رضاء من الاخوان، لكن الإخوان كانوا فى ذلك الوقت بين أمرين أحدهما الايحاء بأنهم يريدون أن تتسع اللجنة التأسيسية لاكثر من تيار، والثانى هو الاصرار على التحكم المتحكم فى عملية إعداد الدستور وبين الأمرين كانت الصراعات المعلنة والاتصالات الخفية مع قوى كنا نعتبرها محسومة معنا فى صف التيار الليبرالى فإذا بها تتهامس سرا وأحيانا فى مباهاة مع الاخوان.. سواء فى لقاءات جماعية مفتوحة مثل لقاء فيرمونت أو مؤتمرات صحفية صاخبة أمام مقر مكتب ارشاد الجماعة بحضور المرشد ومرسى وقيادات اخوانية وبعض المتقربين والمتملقين والمتعجلين من سياسيين محدثين لا يتقنون حتى اسلوب التملق أو التآمر مع العدو المفترض.. كل ذلك القى بظلال كئيبة على المناقشات بقدر ما هى مجدبة وتبدت ايضا وكأنها بلا نهاية.

حتى كان يوم يبدو فيه أن الكيل قد فاض بالمشير والمجلس العسكرى فدخل الاجتماع وعلى وجهه غضب لا يخفيه ولعله أراد ألا يخفيه.. وقال هذا آخر اجتماع ولن يغادر أحد هذه القاعة إلا بعد أن نصل إلى اتفاق. ولست ادرى لماذا وجدت نفسى وقد فاض بى الكيل أنا ايضا، وقلت سيادة المشير هل هذا امر ضبط واحضار؟ فقال بلا ابتسامة "ليكن كذلك".

وهنا وجدت نفسي دون قرار مسبق اقول بصوت فيه رتوش من غضب "سيادة المشير هل هو فعلا أمر ضبط واحضار؟" فقال "افهموه زى ما انتو عايزين" فقلت اذن انا عندى كلمة لو سمحت فقال "اتفضل" وبدأت بسؤال تبدى غريبا" طبعا يا سيادة المشير وسيادة الفريق والسادة اللواءات أنتم جميعا درستم تاريخ المعارك العسكرية الشهيرة؟ وفيما تهتز رؤوس بالموافقة قلت فهل يتذكر أحد اسماء القادة الذين هزموا مع نابليون فى "ووترلو"؟ وأجبت على نفسي طبعا لأ". وقلت "هل يتذكر أحد اسماء القادة الذين اصطفوا مع احمد عرابى أمام قصر عابدين ليواجهوا الخديوى توفيق. وساد صمت فأجبت على نفسي، أنا اعرف بعضهم بحكم دراستى للتاريخ واعدادى لكتاب عن الثورة العرابية لكننى اتخيل ان لا احدا من الحاضرين يتذكر ولو اسم واحد منهم"، ومضيت قائلا "وهكذا نجد التاريخ لا يذكر ولا يتذكر سوى القائد.. مصطفى كامل - محمد فريد- سعد زغلول- عبد الناصر ثم وبدون سابق ترتيب وجدت صوتى يعلو وقبضتى تدق على المائدة بعنف ومعها هكذا يا سيادة المشير فإن التاريخ إذ يفتح صفحة هذه الايام لن يتذكر ولن يذكر إلا إسمك أنت. أن خيرا فخير وأن شرا فشر" وخيم صمت متوتر على رؤوس الجميع وخاصة اعضاء المجلس العسكرى الحاضرين. صمت المشير قليلا ثم وجهه كلامه إلى سقف الغرفة وقال حتى عندما كنا ملازمين اوائل كنا لا ننسى الاساءة التى توجه لنا"، أما أنا فكنت لم ازل متوترا على غير العادة فقد

احسست ان الامور تتجه وبسرعة نحو تسليم الإخوان مفاتيح اللجنة التأسيسية لوضع الدستور (فللمرة الاولى كانت هناك همسات تسبق الجلسة بين الفريق وبين ايمن نور الذى قضى طوال الجلسات السابقة صامتا فى ابتسامة تحاول أن تقول أنها واثقة. وكان مصطفى بكرى منزويا يكتب شيئا وكان يمثل الإخوان ثلاثة وليس اثنين، القادة الكبار اختفوا وحضر من الصف الثانى ابراهيم حسين، عصام العريان، اسامة يسن) وقلت أنا لم اكمل سيادة المشير.. فقال بامتعاض اتفضل كمل "وقلت لعلك والسادة اللواءات الجالسين هنا تعرفون إلى أين تقودون الأمور، ولكن لنفترض أن لواء آخر غيركم وفى طريقه إلى البيت يقرأ فى كل خطوة تسرع بها السيارة يسقط حكم العسكر" وشتائم ضدك يا سيادة المشير وبحثت عن مرسى لأزغده فلم اجده فزغدت ابراهيم حسين قائلا: وانت تعرف من يكتب ومن يدفع لمن يكتب؟ ومن يستفيد مما يكتب؟ ويعود اللواء إلى بيته لتسأله ابنته مين اللى بيكتب ضدكم؟ وساكتين عليهم ليه؟ انتوا خايفين منهم ولا ايه؟ فبماذا يجيبها؟ وانهيت كلمتى بهذا السؤال. وهنا صاح اسامة يسن دون أن يطلب الكلمة، يا سيادة المشير الدكتور رفعت بيسخنك ضدنا، ولحقه مخيون فعلا يا سيادة المشير بيسخنك ضدنا، ورد المشير غاضبا "انا محدش يقدر يسخنني، ولو كنت اتسخن كنتم شفتم وش تاني" وسرى تيار الكهرباء فى الجلسة "الإخوان يطلبون ٥١٪ من اعضاء الجمعية التأسيسية وقلت فى هذه

الحالة يكون التصويت بنسبة الثلثين. وصاح عصام العريان" البعض هنا يحاول تخويف الناس منا ويتصور أن كل من يقف معنا اخوان"، فقلت مقاطعا "أنا لا أنكر ذلك، وإذا صممتم على رأيكم فأنا من الآن اعلن انسحابى من اللجنة التأسيسية وسأغسل أيدى حزب التجمع من هذا الموضوع كله". فرد مصطفى بكرى مقاطعا "انسحاب د. رفعت يقلب موازين كثيرة، ولابد من التفاهم". فرد ابراهيم حسين "البعض يحاول أن يفرض ارادة الاقلية على المجموع" فقلت بصوت أعلى من صوته عندما يكون الوطن مهددا فلا مجال لخضوع الاقلية لمن سيدمرون المستقبل.. هاج الاجتماع وفقدت الضوابط الصارمة وصار الجميع يتكلمون فى نفس واحد فدق المشير بقبضة صارمة "ترفع الجلسة لنصف ساعة" والمصيبة اننى عندما خرجت لم أجد من يمكن أن اتشاور معه، كثيرون يرفضون الاقتراح الاخوانى ولكن لا ينطقون ففى عملية توزيع الجمعية التأسيسية يحتاجون ما يضمن لهم وجودا فى البرلمان عبر تحالف ولو غير معلن. وفيما أشرب الكابتشينو اقترب منى واحد من المجلس العسكرى كان الاقرب إلى قلبى ربما لأنه الاكثر وعيا ومعرفة وايضا تودد هو اللواء العصار وقال لا تخاف ولا تتوتر الشعب المصرى البسيط رغم أميته وبساطته سيتمسك بالدولة المدنية وهو لن يقبل بحكم الإخوان ومن تسميه انت التأسلم" كنت لم أزل اغلى وقلت بغلظة غير مفترضه إذن استعد انك تدخل قفص الاتهام أمام قضاة جماعة الإخوان. بهت الرجل من الجرأة والتجاوز وتركنى صائحا،

"أنا مبخافش" . وكان الفريق يتابع حوارنا من بعيد فسألنى حصل ايه؟ فأعدت له ما قلته فصاح فى وجهى "مش معقول تقول كلام زى ده لسيادة اللواء" .. وكان اللواء السيسى يتابع الأمر مبتسما وهو جالس على مقعده الذى لا يغادره ولا يغيره، وقرر تهدئتى بأن وعدنى أن يرسل لى دراسة عن الإخوان قدمها اللواء صبحى صدقى خلال دراسته الاكاديمية فى امريكا .. ولكن هذا الوعد الموضوع تاه فى خضم الاحداث المتسارعة.

ويبقى لزاما على قبل أن اتواصل بمشاعر وأحاسيس واحداث أن اعتذر للواء العصار فقد كانت توقعاته إزاء مواقف الجماهير الشعبية من الاجراءات والتوجهات الاخوانية والمتأسلمة عموما .. صائبة.

انتهى النصف ساعة وكان ايمن نور قد أعد اقتراحا شديد التعقيد بتشكيل اللجنة التأسيسية، وعصام العريان يقول بصوت عال لكى اسمعه "احنا تسعين مليون ومش هينفع أن كل الناس تمثل فى اللجنة التأسيسية. وكان مصطفى بكرى قد اعد مسودة بيان وعرضه بسرعة على الفريق.. وباختصار ودون ان استطيع أن امسك بخيط اتهام لأحد فإننى امتلأت بهواجس تأكدت سريعا ففى خلال فترة الاستراحة طبخ كل شيء وكان الاتفاق الهش يقول: اعضاء اللجنة مائة - خمسين للتيار الاسلامى وخمسين للتيار الليبرالي.. واعلن عصام العريان موافقته ويبدو كما همس لى البعض من الصامتين الدائمين انه خلال الاستراحة قد انتحى بالدكتور سيد البدوى ورتب معه امرا. ساد الارتياح بين الكثيرين

بينما غمرنى أنا احساس بالقلق، فقد تصاعدت مشاعر تغير ملموسة ولكنها غمرتنى ربما دون سبب مؤكد بأن ثمة طبخة تم انضاجها خلال هذه الاستراحة".

ومع التوتر تحدث الفريق متسائلا لماذا لا نثق فى بعضنا البعض ولماذا لا نعلو فوق المصالح؟

(أود هنا أن اشير أننى ومع بداية هذه المرحلة من اللقاء الاخير بدأت اسجل ما يشبه محضر اجتماع فقد احسست بأهمية الكلمات وحتى الهمسات) وهنا تحدثت أنا فقلت اطلب الكلمة للمرة الثانية. وقال المشير تقصد للمرة العاشرة، ولم التفت لهذه الوخزة وقلت "المسألة ليست مصالح شخصية ولا مقاعد برلمانية نحن مقبلون على وضع دستور، وفى الدستور نحن نطالب بدولة مدنية حديثة وهم يحاولون من الآن أن يفرضوا علينا ولاية المتغلب" وتحدث عصام العريان الذى حاول أن يؤكد للجميع أنه قد تسيد الموقف فقال "إذا كنا سنختار مائة فلا يمكن للمائة أن تمثل كل الناس، والدستور بعد صياغته سيعرض الاستفتاء وللشعب الكلمة العليا فى التصويت، وأنا اعتقد أن ازمة الثقة سوف تزول بمجرد أن تبدأ اللجنة التأسيسية مناقشاتها". ثم قال متوعدا "نحن أمام مسارين مسار يريد الانجاز ومسار يصر على التفتيش فى النوايا، ويستحيل أن نصمم على الاجماع التام ولكن على التوافق بين الاغلبية فنحن مثلا نوافق على ما طرحه د. سيد البدوى مادام الهدف منه هو انجاز الهدف الرئيسي.. (وهنا تأكدت لى همسة

الصامت الدائم) وواصل العريان، وهناك مثلا وثيقة الازهر وكذلك وثيقة التحالف الديمقراطي وكثيرون متفقون على الوثيقتين بشكل عام وحول طرح د.رفعت لاشتراط نسبة ٧٥٪ للتصويت فنحن نرى أنه تشكل اللجنة ثم تحدد اللجنة بنفسها اسلوب التصويت. وقال بشكل حاسم من يعطل يتحمل وحده مسئولية محاولة التعطيل.

وتحدث مصطفى بكرى فقال أن التصويت بأغلبية الثلثين يمثل ضمانة. ومن البداية احنا قلنا دستور ثم انتخابات رئاسة لكن خيرت الشاطر صمم الرئاسة ثم الدستور وأنا اشعر بشرخ كبير إذا انسحب رفعت السعيد.. وإذا غابت روح التوافق البلد حتقع. وأنا اطالب المجلس العسكرى أن يتدخل الآن لوضع المعايير الملزمة للجميع. وتحدث المستشار الفضالى قائلا "البعض يعود بنا إلى نقطة الصفر فهل من المعقول أن نسلم مصر لأغلبية مؤقتة ولهذا نحن لا يمكن أن نقبل التصويت إلا بنسبة الثلثين".

ثم تكلم ابراهيم حسين قائلا: احنا حريصين على انجاز الدستور امبارح مش النهاردة والبعض يحاول اغراقنا فى النوايا ويتهمنا بأننا اغلبية وكأن الاغلبية معره، والبعض يتصور أن كل من يقف مع الإخوان هو اخوان وليعرف الجميع أن اللجنة التأسيسية عندما تنعقد ستكون صاحبة لائحتها واسلوب التصويت فيها".

وتحدث السادات فقال التصويت بأغلبية الثلثين يريح الجميع وارجو ألا يتركنا المجلس العسكرى فى هذه الحيرة وأن يتدخل ليحسم الأمر.

وهنا تحدث المشير فقال "أنا عارف أنا أعمل ايه، وسأعمل ايه وأقول لكم جميعا وخاصة الأغلبية توصلوا لحلول ولا ترسلوا إلينا الكرة، أحنا مش خايفين إحنا مات مننا كتير فى الحرب ومستعدين نموت، وأنا لن اترك مصر إلا شهيد. نحن يا د. رفعت نريد أن نترك تاريخا ناصعا ولهذا ندعوكم للتوافق. توافقوا يا سادة. أنا بصراحة ممكن اصدر قرارا دلوقتى حالا لكن هذا سيكون قرار صعب. وأحنا عارفين احنا بنعمل ايه، ثم وجه كلامه ناحية الإخوان وقال اللى متصور أن له نفوذ فى الجيش واهم، واهم جدا. احنا موحدين ولا يؤخذ أى قرار إلا بموافقة العشرين واحد بالإجماع". (وأعود لأؤكد أن هذه النصوص قد سجلتها بالنص خلال الجلسة الأخيرة).

ثم تحدث مصطفى بكرى فقال لنضع معيارين ٥٠+١ للمواد المتفق عليها وثلثين للمواد المختلف عليها ثم تحدثت فقلت "المتفق عليه ٥٠+١ والمختلف عليه يطرح للاستفتاء ومادة مادة. وتدخل عصام العريان محتدا التصويت ٥٠+١ وفى حالة الخلاف ٦٠+١.

وفى النهاية كان الجميع مرهقون وتم الاتفاق أوليا ٥٠ (تيار إسلامي) ٥٠ تيار ليبرالى مدني، لكن الهمسات التى لاحظتها كانت تسيطر، وقول عصام العريان "نحن نوافق على ما طرحه د. سيد البدوى مادام يساعد على انجاز الدستور، دفعانى إلى مقاطعة المشير وهو يطرح اقتراح المناصفة للتصويت وقلت "سيادة المشير حضرتك مصدق أن الإخوان ستنفذ هذا الاتفاق؟ (وطبعا لم يكن ملائما أن احذر من اتفاق بين البدوى والإخوان دون أن امتلك دليلا)

فقال المشير وقد ضاق صدره "طبعا مصدق هو لعب عيال" وصاح عصام العريان "أنا سأخرج دلوقت لأعلن فى المؤتمر الصحفى أننا موافقين" وأجبته و"أنا خارج دلوقت ومش حأحضر المؤتمر الصحفى حتى لا يتصور أحد أننى موافق وحتى لا اعترض فيتصور البعض أننى افسدت الاتفاق. رغم تأكدى أن الاتفاق لن ينفذ".

وخرجت.

وقد كان فقد تسربت الينا اخبار عن لقاء حضره فى حزب الوفد حزب النور والإخوان وحزب الوسط واتفق المجتمعون على ما أكد هواجسى وهو اعتبار الوسط حزبا ليبراليا ومن ثم يدخل ضمن "كوته" القوى الليبرالية وبهذا تنخفض نسبة الليبراليين الحقيقيين ومعهم الذين يزعمون ذلك -على اختلاف انواعهم- إلى ٤٩ وتزيد نسبة المتأسلمين إلى ٥١ مع ملاحظة أن حزب الوفد سينضم طبعا إلى من اتفق معهم وكذلك حمدين الصباحى ورجاله فتصبح النسبة مختلة تماما.

ثم وجهت الدعوة إلى اعضاء المجلسين لاختيار الجمعية التأسيسية.. ووزعت فى اللحظة الأخيرة قائمة تضم قرابة الألف مرشح والمطلوب اختيار مائة دون زيادة ولا نقصان وهو أمر يشبه الاستحالة واكتشف الحاضرون أن ثمة قائمة توزع سرا بها المائة اسم. وهى قائمة مغلقة متفق عليها سرا (وهى تضم قوى المتأسلمين + الوفد+ حمدين ورجاله+ الديمقراطى الاجتماعي+ السادات كل بنسب مختلفة مع احتفاظ الإخوان بالاغلبية المطلقة).

وقبل التصويت وقف عاطف مغاورى عضو مجلس الشعب ليعلن باسم حزب التجمع الانسحاب من عملية التصويت ومن اللجنة التأسيسية اصلا. (فقط أود أن اضيف انه قبل التصويت بيوم اتصل بى احد قادة حزب الوفد وقال بصراحة نحن نعد قائمة مشتركة فهل نضع اسماء منكم وقلت لا).

وهكذا بدأ الإخوان ليس فقط رحلة وضع دستور اخوانى وإنما ايضا رحلة كشف الغطاء عن حلفائهم.

* * *

وأقفز سريعا إلى مرحلة حكم مكتب الارشاد.

ومع بداية هذه المرحلة . حلق فى خاطرى سؤال كطائر مخيف هل اواصل الكتابة ضد الإخوان بذات الحماس؟ أم اتستر ولو قليلا؟ أو أصعد بالمعارضة إلى اقصى مداها؟

وما كانت الحيرة إلا بسبب مرض ليلي. فالمرض كان يتصاعد وكل منا يدرك ذلك، وهى تشعر فى كل ساعة بحاجتها إلى وجودى بجوارها، بل ولصيق بها أكثر فأكثر. وناقشتها فقالت "أنا محتاجة لك لضروري، لكن مش ممكن اسمح لحد انه يقول انك توقفت لأنك خايف من الإخوان". وبعد صمت سالت دموعها فأسالت دموعى "أنا خايفة عليك ومحتاجه لك. لكن استمر بس اوعى تغلط فى مسائل الدين فيصطادوك" واتفقنا أن تقرأ بقدر الإمكان ما اكتب.

وبدأت معركة جديدة بأسلحة كتابة جديدة فأنت تخاطب حاكما وتريد أن تهزم الأسس التى تقوم عليها قواعد حكمه. وهو ليس الحاكم

وانما الآخرون المقيمون فى المقطم إلى جوارى حيث أسكن. ولأن القليلين، بل القليلين جدا ممن كانوا يتجاسرون بالكتابة ضد الحاكم الصورى والحكام الأصليين وضد جوهر الفكرة التى تبدت وكأنها انتصرت قد بدأ أغلبهم يقلل من الهجوم والانتقاد بزعم أن إرادة الشعب قد انصرفت إلى انتخاب رئيس إخوانى بغض النظر عن أى شيء، كنت أنا اتصرف وقد تلبستنى حالة تبدت أحيانا وكأنها غير منطقية فى نظر الكثيرين حتى من خصوم القوى المتأسلمة وهى أنهم ذاهبون حتما. وأن حكم الإخوان لن يبقى طويلا، وكنت أردد ذلك دوما دون خوف من الإخوان ودون سند ممن يفترض أنهم ضدهم.

ومع الحرص على البقاء فى المنزل كثيرا لأمنح ليلى مزيدا من القدرة على الاحتمال ومزيدا من الطمأنينة، وعلى أن اتلو عليها أولا بأول ما اكتب.. احسسنا معا أننا التصقنا ببعضنا وصرنا اقرب من أى وقت مضى بعد أكثر من خمس وأربعين سنة زواج.

* * *

وكانت مناوشات - مقالات - حوارات صحفية- حوارات تليفزيونية- كتب، استأذن فى أن نتوقف أمام بعض منها، مع ملاحظة شديدة الاهمية وهى أن الأمر لم يخل من ردود افعال.

فمع استمرارى كما كنت وأزيد بدأ بين يوم وآخر ظهور تجمعات من نساء واطفال تتجمع أمام بيتي، النساء يحملن طارات يدقون عليها بعنف والاطفال اولاد وبنات فى جلاليب بيضاء والهتاف.. يسقط يسقط الكفار، ابعد ابعد يا سعيد.. مش عايزينك غور

بعيد. فى البداية ارتبك الحرس فماذا يستطيع أن يفعل مع نساء واطفال، وقلت لهم لا تحتكوا بالمتظاهرات واتركوهن حتى يتعبن. أما ليلى فكان تعليقها "ما تقولش للاولاد علشان ما يخافوش".

وكان الرد هو حشد شابات وشبان بعد مغرب كل خميس وهو موعد اجتماع مكتب ارشاد الجماعة فى المركز العام،، يتجمع الحشد أمام المبنى حيث اجتماع المكتب ومعهم سيارات تفتح الكاستات دفعة واحدة وبأعلى صوت بموسيقى "سالسا" والجميع يرقصون .. فقط يرقصون دون أن يحتكوا بأحد أو يهتفوا ومن يتعب يدخل إلى جمعية البيئة وهى الجمعية التى سبق وأن اسهمت أنا فى انشائها منذ حوالى ثلاثين عاما لخدمة سكان المقطم وبها حديقة كبيرة وتقع بالضبط فى مواجهة مكتب الارشاد، وتكون الجمعية جاهزة بمشروبات باردة وحمامات نظيفة ومقاعد للراحة.. ويتواصل حفل الرقص إلى ما بعد العشاء ثم ينفض ليتكرر كل خميس.

وهكذا كل منا يرد على الآخر دون احتكاك. نحن لا نريد أن نحتك بنساء وأطفال، وهم لا يريدون أن يحتكوا ببنات وأبناء سكان المقطم الذى اقاموا فيه مقر المركز العام.

* * *

وفى صباح أحد الأيام أتى إلى مكتبى الدكتور محمود خيال وهو صديق قديم تعرفت عليه فى اطار جمعية التنوير (د. فرج فودة) وطلب مائة نسخة من كتاب لى اصدرته قبل حكم الإخوان بعامين وعنوانه "التأسلم السياسي- جماعة الإخوان نموذجا" طبع الكتيب

ثلاث مرات احداها من مكتبة الاسرة، لكنه نفذ بسرعة، وبحثت له ولم اجد، فاقترح أن نعيد طبع الكتاب وأن يتحمل هو واصدقائه التكلفة والتوزيع لأنه كان من المستحيل أن توزعه أى مؤسسة صحفية. واتفقت مع المطبعة، فطبعنا ألف نسخة بذات مواصفات وذات غلاف وذات البيانات بحيث لا يشعر أحد أنه إزاء طبعة جديدة.. وتسلم د. خيال النسخ التى تتوافق مع طاقة توزيعه هو واصدقائه وقمنا نحن بتوزيع الباقي.

ثم كان أن خطر فى بالى أن اجمع ما كتبت عن الإخوان ومرسى وممارساته منذ وصوله إلى الاتحادية فى كتاب. وبعد مماحكات ومفاوضات مع الطابع اتفقنا على أن يصدر وتم الايداع باسمى وأن يختفى اسم الطابع وابقى أنا المسئول.. وقد كان، وصدر الكتاب بعنوان صريح.. وهو "رسائل إلى د. مرسي- مقالات- حوارات- دراسات". وصدر يوم عيد ميلادى الثمانين وأهديته إلى ليلى وابنى خالد وابنتى غادة وأحفادى الأربعة نيفين ورامى خالد السعيد، ويوسف وليلى حسام فهمي" ثم قلت فى الإهداء فى هذا اليوم ١١-١٠-٢٠١٢ لكم الحب واجمل الامنيات مع كل الاعتذار عما تسببت مواقفى لكم كل من متاعب وقلق وما حملتكم من مشاق. وكونوا مع المستقبل مع الأمل، فمصر تستحق".

ومع صدور الكتاب تصاعدت مظاهرات النسوة بالدفوف وحملات الهجوم فى الفضائيات وبعض الصحف، وادركت اننى على الطريق الصحيح.

وكـان الـذى ازعـج مـرسى ورؤسـائه هـو بـعض عـبـارات المقدمة..ومنها كمثال "والمشكلة فى ايامنا البائسة تأتى من ارتباك المشهد الرئاسي، فلا هو رئيس ولا هو مرؤوس. هو يجلس منتشيا على عرش مهتز، ويسافر، يسافر، يسافر وكأنها فرصة لن تتكرر (وقد كانت كذلك فعلا) ويحاول الزعم بأن الزيارات تستهدف استجلاب نفوذ لمصر ناسيا أنه ولو طار حول الكرة الارضية فإن النفوذ لا يأتى إلا عبر اصلاح الوطن واستقراره وسعيه نحو التقدم، وما من شيء من هذا أتى به" ورغم عشرات المقالات والتصريحات والحوارات حملت انتقادات أشد قسوة وعنفا إلا أن عبارة "لا هو رئيس ولا مرؤوس" قد اغضبت مرسى أكثر من غيرها.. رغم أن غيرها كان اشد قسوة، أما غلاف الكتاب الذى اتشح بسواد كامل وبعلم مصر مسجون فى زنزانة عالية الاسوار.. فقد اغضب الكثيرين من قادة الجماعة.. واغضبهم اكثر أن اسم الطابع غير موجود وكذلك اسم مصمم الغلاف. ويبقى محيرا بالنسبة لى كيف ألخص ما ورد فى الكتاب، ليس لكى اتباهى بما لم يتجاسر عليه الكثيرون من ذوى الألسنة الطويلة، والذاكرة المراوغة الذين يحاولون أن يستروا خضوعهم المذل للاخوان وحكمهم واحكامهم بصراخ يأتى فى زمان اصبح فيه الإخوان سادتهم فى الامس داخل السجون. لكن نشر بعض هذه الكتابات والاقوال هو بذاته تسجيل لمواقف من الضرورى ذكرها وممارسات تعبر عن جزء من ذكريات عزيزة إلى قلبي.